

ملحق

بيانات نشرها المؤلف صيف عام ١٩٦٢  
في الصحافة السورية

الطامعون ليسوا وحدويين

كنت ، منذ اوائل عام ١٩٥٩ ، قد رأيت ان من واجبي اطلاع  
الرأي العام العربي ، والسوري منه خاصة ، على ملائمت الواحدة بين  
سورية ومصر وعلى ما شاهده بحكم ظروفه ومركزي من انحرافات  
الادارة المصرية بعد ان تمت تلك الواحدة . وقد نشرت بيانا في ذلك  
الحين سردت فيه كيف ان الرئيس جمال عبد الناصر كان قبل الواحدة  
يبدل كل الوعود والعهود ويضع شرفه وشرف ثورته ضمانا لوعوده  
وعهوده هذه ، فيؤكد بأنه سيرعى الواحدة من كل طغيان وافئسات  
من قبل احد شطريها على الآخر . فوعد وتعهد بالديمقراطية وبالتعاون  
مع كل القوى الخيرة دون استثناء او تمييز ، ووعد وتعهد بأن يحفظ  
كيان سورية من كل عبث ، هذا الكيان الذي اعترف به نفسه عمليا في  
نصوص اتفاقية الواحدة وفي دستوره الوقت الذي أصدره عند أول  
زيارة له لدمشق .

فمن الناحية الاقتصادية كان الرئيس عبد الناصر - وما زال حتى  
الآن - يتظاهر بالاعتراف بأن لكل من القطرين ظروفه الموضوعية التي  
فرضها عليه تاريخه الخاص به . فالسياسة الاقتصادية يجب ان تركز  
على هذه الظروف بحيث لا يفئست القطر الأكبر عن حقوق القطر  
الأصغر ، وبشكل يضمن تقارب القطرين مع ضمان تقدم وازدهار  
كل منهما . فلا يزدهر مثلا القطر المصري على حساب القطر السوري

لتحقيق التقارب ، اذ ان هذا النوع من التقارب لا يشكل في الواقع تقاربا وانما ابتلاعا .

ومن الناحية التنظيمية كان على كل من القطرين ان يسعى الى اخذ الانضـل من انظمة وقوانين القطر الآخر . وفي هذه الحالة لا بد ان يكون هنالك في كل قطر ، البالي والصالح ، على السواء ، من القوانين والانظمة كما لا بد ان يكون لكل قطر ، بحكم ظروفه الخاصة ، ما ينفعه وما لا ينفعه من قوانين وانظمة القطر الآخر . فلا يصح عندئذ ان نمصر سوريا مثلا بفرض انظمة مصر وموظفي مصر عليها ، لمجرد كون هذه الانظمة واولئك الموظفين من القطر الشقيق الاكبر . ولا يصح ايضا ان يأتي المواطن المصري الى سورية فأمر وينتهي كما يشتهي وان يذهب المواطن السوري الى مصر فيكون فيها كالرجل الخامسة في الكرسي اي زائدا ولا لزوم له حتى ولو كان وزيرا أو نائبا للرئيس .

ومن الناحية الادارية كان قد وقع الاتفاق على أن يكون لكل قطر كيانه الخاص به مع سلطاته التنفيذية والتشريعية . وذلك لمراعاة الظروف الموضوعية المحلية ولتسهيل اعمال الناس ولتـمـنـع طغيان السلطات المركزية طغيانا أعمى يؤدي الى الاضرار بمصالح سكان القطر . ان مجرد فكرة وجود المجلس التشريعي الاقليمي ينفي تسلط وزير مركزي بشكل ديكتاتوري على وزير اقليمي . فالسيد مرعي مثلا لا يحق له في أيام الوحدة أن يفرض ارادته على وزير الزراعة السوري ، لان من واجب هذا الاخير ان ينفذ ما يشرعه له المجلس

التشريعي السوري • اما احترام القانون وعدم العبث به ، واما احترام الحريات واحترام الناس ، فكانت امورا مفروغا منها واتت في اتفاقية الوحدة وفي الدستور الموقت بالنص والاشارة • فلم يكن يخطر ببال أحد مثلا أن تنقض قطعان المباحث الناصرية على المواطنين من كل نون وفكر لتذيقهم مر العذاب منذ الايام الاولى للوحدة بدون اي ذنب أو أي مبرر معقول ولم يكن يخطر ببال احد مثلا ان يأتي من هو اقل قدما في الجيش او في دوائر الدولة الاخرى ليقود او يأمر من هو أكثر قدما منه لمجرد كون الاول مصريا والثاني سوريا ، أو كون الاول مباحثيا أو يمت بصلة قريبة او بعيدة الى المباحث الناصرية • اما من الناحية الخارجية فكان من المفروض ان تترك العربية المتحدة تقاليد النضال ضد الاستعمار وفي سبيل التحرر العربي • النضال الذي كنا نخوضه بنجاح ضخم قبل الوحدة • فكان علينا مثلا ان نتبع بحزم سياسة الحياد الايجابي وعدم الانحياز ، وسياسة محاربة الاستعمار بشكليه القديم والحديث ، وسياسة التعامل مع الدول الاجنبية على قدم المساواة وعدم التفريط بحقوق ومصالح شعبنا وبقية الشعوب العربية • وسياسة التضامن والاخوة مع بقية الاقطار العربية فنشجع هذه الاقطار بسلوكنا تجاهها وبتصرفاتنا الداخلية والخارجية لتسلك طريقنا في التقارب والوحدة الخ ••

فماذا جرى بعد الوحدة ؟ وماذا تحقق من كل السني ذكرناه اعلاه ؟ لقد شهدت بياني الآنف الذكر عام ١٩٥٩ على بعض ما رأيته في باكورة عهد الوحدة • فمن الناحية الاقتصادية أشرت الى ان اتجاء

السلطات المصرية كان نحو تجميد الاقتصاد السوري وضربه لصالح الاقتصاد المصري . فلم يكن هذا الاتجاه اذاً نحو توفير الازدهار لكل من اقليمي الجمهورية عندما نعمل على تقريب اقتصاديهما من بعضهما البعض ، وانما كان الاتجاه نحو ابتلاع الاقليم المصري للاقليم السوري . وفي الايام الاخيرة بين الاستاذ خليل الكلاس وزير الاقتصاد للاقليم السوري لفترة طويلة من ايام الوحدة ان ما نهت اليه في بياني المذكور كان أكثر من صحيح وذلك عندما نشر رده على مقترحات أجهزة الاعلام الناصرية عليه . بل ان سوقنا التجاري يشهد برمته على هذا الواقع كما يشهد عليه أيضا كل ما نشر في الجرائد الناصرية ذاتها أيام الوحدة حول هذا الموضوع . وليس هذا فحسب اذ بالإضافة الى ان سوريا اوضحت فعلا مدى حيويًا لتفريغ ضائقة العمل في مصر وتفريغ عطالة الشبيبة المصرية المثقفة في الوقت الذي يلقي فيه بالشغيلة والشبيبة السوريين في الشوارع كانت النية ميته لجلب مليونين ونصف او ثلاثة ملايين فلاح مصري ليسكنوا الجزيرة السورية ؛ وان مشروع السد على الفرات لم تكن الغاية منه النهوض باقتصاديات سورية العربية وانما كانت الغاية منه توسيع المدى الحيوي المصري . وانتي بذاتي سمعت في أول أيام الوحدة حديثا دار بين الرئيس عبد الناصر والشيخ الباقوري وزير الاوقاف المصري ، أثناء نزهة الغوطة التي دعا اليها الرئيس القوتلي اعضاء الحكومة . وكان الحديث يدور حول خصب منطقة الجزيرة السورية وحول مستقبلها الاقتصادي الهائل بعد اقامة سد الفرات . وعند ذهابنا الى

مدرسة خرابو للغداء طلب الي الشيخ الباقوري أن أدله على موقع الجزيرة على خارطة كانت موجودة في غرفة مدير المدرسة • وكان شار دهستي وتساؤلي هذا الاهتمام الزائد الذي كان يديه هذا الشيخ حول هذا الموضوع الذي ما كان من اختصاصاته • الا ان الامر اتضح لي عندما سألتني الاستاذ الباقوري فيما اذا كانت المساحة التي يراها على الخارطة تكفي لاسكان مليونين ونصف او ثلاثة ملايين فلاح مصري ! •• وعندما سألته وماذا نضع بالسوريين الذين يسكنون الجزيرة ؟ وماذا نضع بالسوريين الآخرين الذين سنحتاج الى اسكانهم في الجزيرة بنتيجة تطورنا الاقتصادي ؟ سكت وابتعد عني •

وهل نحن بحاجة الى التكلم عن التبذير واتلاف المال والنقود بشكل لا مثيل له في تاريخ الامم • ان المسؤولين السوريين نشروا في الجرائد في اعقاب ثورة ٢٨ ايلول وثائق تتعلق بانفاق عشرات الملايين من قبل مسؤول واحد ، وهو عبد الحميد السراج • وهذا الانفاق لم يكن على تعليم الناشئة ، ولا على بناء المشاريع الاقتصادية ولا بناء المنافع العامة ، وانما على التجسس والتخريب • وقد ذكر لي احد المسؤولين ان لاجئا اردنيا في سوريا اغرته حكومته بالعودة الى بلده ، وعلى الرغم من افتضاح امره بالنسبة الى المخابرات الناصرية فان هذا اللاجئي تمكن من ان يحمل معه نصف مليون ليرة سورية قبل ان يعود الى بلده حيث اعتقلته هنالك السلطات الاردنية مدة ثم اطلقت سراحه • وقد كلفت المذبحة التي اثارها الرئيس عبد الناصر في الموصل ملايين الليرات ، هذا بغض النظر عن الدماء البريئة التي اهرقت



هناك والدمار الذي اصاب هذه المدينة الشهيدة ( وبهذه المناسبة اذكر ان الرئيس عبد الناصر اتهمني كذبا بالذهاب الى العراق ، وقد اذرت اجهزة دعايته حكايات اسطورية عن اعمال شنيعة الصقتها بي . مع العلم بأنني لا اعرف العراق ولم اذهب اليه طيلة الحياة التي عشتها حتى الآن . واني وان كنت حاولت في عام ١٩٤١ ان اشترك في ثورة رشيد عالي الكيلاني ، الا ان انتهاء هذه الثورة سريعا واحتلال الانكليز لبغداد منعني من الوصول الى القطر الشقيق . فكانت هذه المحاولة الوحيدة التي قمت بها للذهاب الى هذا القطر ) . وهذه المبالغ ليست على ضخمتها الا نقاط بحر زاخر من النقود التي كانت تصرف في غير أوجه البناء .

ان كل السوريين الذين قاموا بأعمال لجان التنسيق رأوا بأن اعينهم كيف استجالت أعمال التنسيق بين الاقليمين الى أعمال تمصير القطر السوري . وأنا اؤكد أجزم بأن جميع اللجان التي عملت لتنسيق أنظمة الجيشين ، المصري والسوري ، قيل الوحدة ( أيام القيادة المشتركة ) وفي مطلعها ، فشلت في الوصول الى اية نتيجة ايجابية لفشل المصريين في قبول أي اقتراح سوري . الا انه بعد انمام الوحدة عندما كانت اللجان المصرية السورية تفشل في الوصول الى قرار ما ، كانت الاوامر العليا أو القرارات الوزارية والجمهورية تحسم الخلاف بفرض النظام المصري مائة بالمائة . ولو ان هذا الامر اقتصر على دائرة واحدة أو مصلحة واحدة لكان شادا وتافها ، الا ان وقوعه في كل الدوائر وفي كل لجان التنسيق يعطيه مدلولا خطيرا وهو وجود فكرة تسلط احد الشريكين على الآخر .

فسوريا وان كانت الاقليم الصغير في تلك الوحدة ، كانت قبلها دولة مستقلة وتعتمد في طليعة الدول التي نالت استقلالها في أعقاب الحرب العالمية الثانية من حيث تقدمها الاجتماعي والتنظيمي . فلا بد اذن من أن يكون حفظها من وجود الحسن في أنظمتها معادلا حظ مصر على أقل تقدير . لذلك كان الرفض المستمر لكل اقتراح تقدم به جهة سورية في هذه الزاوية لا يمكن أن يستهدف الاحسن دوما ، كما لا يمكن أن يكون مصادفة او خطأ غير مقصود .

وقامت بعد الوحدة في الاقليم السوري ادارة سورية تنفيذية وتشريعية وكان هذا يحفظ شكليا كيان اقليمنا ويأخذ بعين الاعتبار نوعا ما مصالحنا المحلية . الا أن سرد بعض الحوادث التي سبقت قيام الادارتين المحليتين في مصر وسوريا يفيد في اظهار النيات الناصرية منذ الايام الاولى للوحدة . فالمخابرات المصرية كانت تمتلك ، منذ ما قبل الوحدة بزمن طويل ، معلومات شبه كاملة عن الاوضاع السياسية في سوريا :

كان لديها اضبارة كاملة عن كل شخصية هامة من رجال السياسة ، ولديها معلومات كافية عن اوضاع كل حزب سوري ، وتعرف علاقات الاحزاب ببعضها البعض وتعرف تناقضاتها وكان لها جماعات تنتشر هنا وهناك في كل مكان وبين كل جماعة تعمل في الحقل السياسي السخ . . . . أي أن السفارة المصرية والبعثات المصرية المختلفة في سورية لم تكن تكتفي بالنشاط المتعلق بمهامها الرسمية ، وانما كانت تهتم بالصغيرة والكبيرة . وبالإضافة الى المعلومات

التي كانت هذه الجهات تجمعها عن الاوضاع السورية ، كانت تتدخل  
دوماً بمختلف الحجج « العلية » لتوجيه الامور في اتجاه يلائم اطماع  
الناصرية . ان محمود رياض مثلاً لم يكن سفيراً عادياً في دمشق ،  
بل رئيساً لشبكة واسعة من المباحثيين تغطي تقريباً جميع النشاطات  
السورية الهامة . وهو كثيراً ما كان يتدخل في الشؤون السياسية  
الداخلية ، وكانت الجهات السورية تتقبل هذا التدخل بصدر رحب  
بدافع من الاخوة العربية ومن المحبة العميقة التي يكنها الشعب السوري  
لكل اتجاه عربي يقف في وجه الاستعمار . لقد كان لتأميم قناة  
السويس اثر كبير في نفوسنا نحن معشر السوريين . الا ان هذا السفير  
أخذ يتجه في نهاية الامر في اتجاه تفريق الصف الداخلي السوري  
بالدس بين مختلف الفئات والعناصر الوطنية . وكثيراً ما كان ينصح  
المسؤولين السوريين نصائح مشبوهة . وانني اذكر له موقفاً اتفقت فيه  
وجهة نظره مع وجهة نظر السفير العراقي السيد الراوي . فمن المعلوم  
ان سوريا كانت قد نسفت انايب البترول لمساعدة مصر ايام العدوان  
الاستعماري على بور سعيد . ولتضمن بريطانيا عدم عودة السوريين الى  
مثل هذا العمل الوطني فيما اذا اشتبكت مرة أخرى بحرب استعمارية  
ضد بلد عربي حاولت اقناع الحكومة السورية بتدويل انايب البترول  
المارة في سوريا . لذلك تقدمت عن طريق الحكومة العراقية في ذلك  
الوقت بمشروع تعهد بموجبه سوريا دولياً بصيانة الانابيب المذكورة .  
وكانت سوريا بحاجة الى المال ، وهذا أمر طبيعي في بلد يناضل بهذه  
الشجاعة والعزيمة ضد مشاريع المستعمرين المختلفة وفي سبيل البناء

والرقي • الا ان قبول هذا المشروع الاستعماري يناقض كما هو واضح  
الاسباب التي تدعونا لطلب المال : نريد المال لتقف بقوة ضد الاستعمار  
ولا نريده ثمنا لتوطيد مواقع الاستعمار • ثم ان هذه المسألة كانت من  
اختصاصات الحكومة ألا انني كمواطن سوري كنت ابدى معارضة  
شديدة لهذا المشروع • وقد زارني أكثر من مرة السفير العراقي  
لاقناعي عبثا بعدم خطورة هذا التعهد بالنسبة الى استقلال سوريا • ولشد  
ما كانت دهشتي عظيمة عندما زارني السفير المصري اياه لاقناعي بوجاهة  
الطلب العراقي • وهنا طفح الكيل لدي ، وكنت قد لاحظت منذ مدة  
طويلة مساعيه المحمومة في الدس بين الفئات السورية ، فأجبتة بجفاء  
ظاهر بأن هذه الامور لا تدخل في اختصاصاته وانني سأشكوه الى  
الرئيس عبد الناصر عندما تتاح لي فرصة لقياه • ذلك لانني كنت أظن  
خطأ بأن سفيراً ناصرياً/يمكن أن يخرج على أوامر سيده • وفي الواقع  
كان جمال عبد الناصر قبلنا ، على علم بمجيء الوحدة فكان يريد  
التخلص من هذا الامر القدر بدفع حكومتنا آنذاك الى قبوله • وهناك  
حوادث لا تحصى مثل هذا الحادث ، حوادث يعرفها كل من عمل في  
الحقل الوطني في تلك الحقبة من الزمن ، كلها تدل دلالة واضحة على  
مدى التدخل الناصري في شؤون سوريا ، وعلى مدى معرفة عبد الناصر  
للصغيرة والكبيرة في سوريا • ومع ذلك فإن الرئيس ناصر كان يتظاهر  
امام السوريين ، بعد ان تمت الوحدة وقيل تشكيل الحكومة بعدم  
معرفة لشؤون سوريا ، فهو لذلك يريد اشخاصا يطمئن اليهم ليتعاون  
معهم في الحكم المحلي في اقليمنا • وقد دعاني مرة الى مصر بعد الاستفتاء

على الوحدة وسألني رأيي في تعيين البغدادي أو السادات رئيساً تنفيذياً في سوريا • وكانت حجته في ذلك انه يريد تعيين الشخصيات السورية في مصر ليتعرف عليها ومن جهة أخرى يريد ان يطمئن الى من يعينه في دمشق لانه لا يعرف شئاً عن اقليمنا • عندئذ حذرته من هذا الامر بشدة وقلت له بأن السوريين سوف لا يقبلون ابداً بمثل هذا التعليل وسيستاءلون بحق عما اذا لم يكن هنالك سوري جدير بهذا المنصب • عندئذ اجابني بأن السوريين منشقون على بعضهم البعض ، وانه رأهم جميعاً فكان كل واحد منهم يدس على الآخر أمامه • ثم انه ضرب لي مثلاً بشخصي أنا فقال ان فلانا وفلانا أتوا اليه واتهموني عنده بالتحزب وانه دافع عني امامهم ونفى عني جميع التهم الخ ••• ومن جملة من ذكرهم لي من هذه الشخصيات الاستاذ اكرم الحوراني • عندئذ أجبته ان ما نحن فيه لا يمت الى الامور الشخصية بصلة ، فقد يستلطف شخص شخصاً آخر ، وقد لا يستلطفه ، الا ان امور الدولة لا تتوقف عند العواطف الشخصية ولا عند الاشخاص • وقلت له ان آخر ما يهمني في امور وطني هو شخصي ، وانا لا اشعر بفخر عندما أقول هذا القول لان من واجبي وواجب كل مواطن سلوك مثل هذا السيل • والا كيف يبذل المواطن دمه للذود عن وطنه ؟ الا تتعارض هذه التضحية مع مصالحه الشخصية ؟ واضفت اخيراً بأنني لن أكف أبداً عن احترام الاستاذ أكرم الحوراني كمناضل وزعيم وطني كبير • وقلت له ان امور الاقليم السوري يجب ان تبقى بيد جهة وطنية تسع لجميع الفئات السورية ، وانه لن يحمي الوحدة الا الجبهة الوطنية السورية • واستمرت

المنافسة على هذا النوال مدة طويلة • الا ان الرئيس عبد الناصر كان يعود دوما الى البغدادي والسادات ويتساءل : وما لهم ؟ • البغدادي عمل كذا ونجح ، والسادات فعل كيت ••• بل انه قال مرة في اثناء المناقشة انه سيصطحب معه هذين الشخصين ليرى كيف سيستقبلهما الشعب السوري • فأجبت بأن السوريين سيستقبلون كل الاشخاص الذين يعتقدون فيهم الصلاح والاخلاص استقبالا حسنا ، الا ان هذا لا يعني قبولهم في تلك البرهة التاريخية والى مدة طويلة بغير الجبهة الوطنية السورية تتولى امورهم • وقد انتهى الحديث عند هذا الحد ، ثم اتى الرئيس عبد الناصر الى دمشق واصطحب معه فعلا البغدادي والسادات • الا ان المشاورات التي اجراها في سوريا أفنعتهم على ما يظهر بالعدول مؤقتا عن فكرة تسليم سوريا الى حاكم مصري فشكلت الوزارة الاقليمية على النحو الذي نعرفه • وهنا لا بد لي من ان اذكر بأن الرئيس عبد الناصر عندما كان يخبرني بأن كثيرا من الشخصيات السورية كانت تتكلم بالسوء عني امامه ، كان يخبر كثيرا من الاشخاص السوريين بأنني تكلمت أنا ايضا بالسوء عنهم ، لان بعضهم قد صارحني بهذا الامر • وانا الآن لا أحتاج أبدا الى تكذيب هذه الاتراءات ، لكنني لا أجد ابدا بين مهام أي رئيس للجمهورية مهمة تقل قيلة السوء الى اصحابها حتى ولو كانت صحيحة •

ان تشكيل أول حكم اقليمي سوري كان مع كل ما سبق مناقيا لما اتفق عليه في اتفاقية الوحدة نصا وروحا • فمن المعلوم انه عندما لا تكون النصوص واضحة في شأن من الشؤون في اتفاقية ما ، وخاصة

في اتفاقية بين اشقاء واخوة ، تعود الاطراف الى محاضر جلسات المفاوضات التي أدت الى الاتفاقية المذكورة لتسترشد بروح هذه المحاضر من أقوال تلك الاطراف • وانني الآن أستطيع أن أؤكد بأن ما وقع الاتفاق عليه بين الطرفين هو أن يكون تشكيل الحكم المحلي بطريق ديمقراطي •

- فيما يخص كيفية تأليف المجلس التنفيذي

نصت الاتفاقية بكل وضوح على ان رئيس الجمهورية يعين رئيس المجلس التنفيذي الذي يختار وزراءه بنفسه •

- فيما يخص المجلس التشريعي :

كان مفهوما من المناقشات المدونة في المحاضر ان يجري انتخاب هذا المجلس بشكل ديمقراطي من قبل شعب الاقليم • فكان على رئيس الجمهورية ايضاح طريقة الانتخاب في الدستور الموقت • ومن الواضح ان الامور في اقامة الحكم الاقليمي المذكور لم تجر وفقا لما سبق ، وانما مسح المجلس التنفيذي الى عدد من الوزراء ونواب الرئيس الذين عينهم جميعا رئيس الجمهورية دون ان يستشير واحدا منهم في الامر على اعتبار انهم شركاء في الحكم • ثم ان رئيس الجمهورية بعد هذا أصدر قرارا تنظيميا سمي فيه احد نوابه رئيسا للمجلس التنفيذي وكان الاستاذ أكرم الحوراني ، وسمى فيه نائبا آخر له ، الاستاذ صبري العسلي ، رئيسا للمجلس التشريعي • وقد اعطى الوزراء

الأقليميين صفتين : صفة الوزير المنفذ وصفة النائب المشرع • أي أن أعضاء المجلس التنفيذي وأعضاء المجلس التشريعي وجدوا جميعا ، وبشكل افرادي من قبل رئيس الجمهورية ، قبل ايجاد هذين المجلسين وبعد اختيار رئيسيهما • كما ان رئيسي هذين المجلسين وجدوا قبل ايجاد المجلسين • هذا بالإضافة الى أن أعضاء المجلس التشريعي وجدوا بشكل بعيد كل البعد عن الديمقراطية • فأين اتفاقية الوحدة وروح المحادثات مما تم بالفعل؟! لقد كان هذا العمل الذي قام به عبد الناصر نكولا تاما وانقلابا قام به بكل ما في الكلمة من معنى • وكان قصده منه مسح كل آثار الديمقراطية السورية وتكريس الحكم الديكتاتوري • فالوزراء التنفيذيون مسؤولون امامه مباشرة وليس لرئيسهم الا شرف اللقب ، اما المجلس التشريعي فليس اكثر من سكرتارية نافذة تدون القرارات التشريعية للديكتاتور ••

مما لا شك فيه ان الجانب السوري قصر كثيرا في حق سوريا عندما لم يدون في اتفاقية الوحدة كل شاردة وكل واردة • الا ان النتيجة لن تختلف كثيرا مع هذا ، لأن عبد الناصر الذي لم يتحمل الاتفاقية الراهنة بضعفها ، كان مستعدا لنقض كل اتفاق وجعله حبرا على ورق • ومن ناحية اخرى كان الرئيس عبد الناصر قد استعد منذ وقت طويل لاستقبال السوريين ، منذ سنوات قبل الوحدة • فقد لاحظ ان الوحدة العربية بالنسبة للشعب السوري تشكل مطلبا شعبيا ضخما • فصمم على استغلال هذا الشعور الشعبي النيل ليجعل من



سوريا اول مدى حيوي لاطماعه في التوسع ، واطماع التوسع هذه واضحة في كتابه فلسفة الثورة . الا ان الوحدة شيء والتوسع شيء آخر . فالامر الاول لا يتم في هذا العصر الا بطريق ديمقراطي يحقق مصالح جميع الاطراف بينما لا يتم التوسع الا عن طريق الغدر والتآمر في مصلحة طرف واحد ضد الاطراف الاخرى . وكان في طريق الناصرية للتوسع في سوريا كل المؤسسات الوطنية السورية التي ترعى بالوحدة المتكافئة ولا ترضى بالتوسع . فعمل عبد الناصر عن طريق سفارته في دمشق وعن طريق كل البعثات المصرية التي كانت ترئد سوريا لمختلف الاسباب والشؤون على تفتيت قوانا الوطنية وضربها بعضها ببعض الآخر . وقد شكوت له مرة من تصرفات السفير محمود رياض الذي سبق وقلت انه كان يعمل على الدس بين الاحزاب والفتات الوطنية الاخرى ، وكان السراج عندئذ برفقتي في القاهرة . فقال لي بجوابه الكلاسيكي انه يجهل شؤون سوريا ، وان محمود رياض يفعل ما يفعل من تلقاء نفسه ، وانه سينصح به بتغيير تصرفاته . . . وكان بهذا الجواب ، الذي كثيرا ما كرره في مناسبات اخرى ، ينظاير بأنه الشخص المغلوب على امره ، الوارث كل مفاسد عهد فاروق ، المحتاج الى مساعدة كل الناس الخ . . . لينجح في مهمته التاريخية . اما الواقع الذي اكتشفناه بعدئذ ، فهو عدم وجود من يتجرأ على اي تصرف لا يأمر به هو نفسه .

بهذا وبأشبهه توصل عبد الناصر الى اضعاف الجانب السوري

وتفريقه ضد صالح الوحدة التي ينشدها السوريون من صميم قلوبهم ،  
وفي صالح توسع ديكتاتوريته .

ان الحكم الاقليمي لم يعجب الديكتاتورية الناصرية ، لانه على ما  
فيه من ضعف كان يشكل عقبة كبيرة امام هذه الديكتاتورية التي تهدف  
في نهاية الامر الى محو الكيان السوري وتنصيب حاكم مصري على ولاية  
لا حول لها ولا طول . وكلنا نعلم كيف سارت الامور بالتخلص من  
السوريين الواحد بعد الآخر ، الى ان انتهى الامر الى الاستغناء عن  
السراج ذاته . وفي اثناء ذلك كانت اللجان تأتي من القاهرة الى دمشق  
لغاية اضعاف هبة الادارة الاقليمية وبالتالي اضعاف الكيان السوري  
ذاته . فتألفت مثلا لجنة البغدادي وغيرها ، وأتى المشير في نهاية الامر  
مفوضا مطلق الصلاحية ليزيح السراج من الطريق . وانتهى الامر  
بالغاء الكيان السوري كما هو معلوم لدى الجميع .

ان الديكتاتورية لا تحترم أي قانون وهي تنتهك القوانين التي  
تضعها هي نفسها . فهي سلب كل الانظمة بما فيها نظامها هي ذاتها ،  
وهي الفوضى المطلقة . ولكي تحصل على هدوء الناس واستكاثتهم تلجأ  
الى الارهاب الدموي .

وقد ذأقت جميع فئات الشعب السوري طيلة أيام الوحدة ما ذأقت  
وما يعلمه الجميع ، من ارهاب وسجن وتعذيب وقتل وتسريح واسقاط  
جنسية . ( )  
ان الفرد في أيام الحكم الناصري ، مهما علت منزلته ورتبته كان

أقرب الى الزنزانة من فراشه وكانت الديكتاتورية الناصرية ، اذ كانت تبذخ بلا حساب لتوفير حياة الفخفخة الفارغة للوزراء والاعوان الكبار ، تخير هؤلاء بين السكوت على جرائمها وبين السقوط الى درك الملاحقات المباحثية او درك الزنزانات ، مع ما يرافق هذا من فقر وحاجة . اي ان على الوزير ان يختار شرطيا يقدم له التحية على بابه ، بالدخول والخروج ، او مباحثيا يعد عليه انفاسه ويسجل اسم كل من يقرب من الباب ذاته . اما بقية افراد الشعب فعليهم ان لا ينسوا بنت شفة والا كان نصيبهم الذل والهوان . ألم يسجل مئات المواطنين السوريين شكاياتهم على ما ذاقوه من عدوان المباحث الناصرية في ايام الوحدة ؟ ومن ذا الذي يجسراً على تكذيب هؤلاء المواطنين الا ديكتاتورية مثل الناصرية ؟

صارحني عبد المحسن ابو النور اول ايام الوحدة بقوله ان من جملة نعم هذه الوحدة هو ان سيادة الرئيس تخلص بواسطتها من مجلس الامة المصري . ثم انه اخذ يكيل لهذا المجلس الشتائم وقال انهم يدينون للرئيس بنعمة انتخابهم نوابا ، اي ان ارادة الشعب المصري زورت لوصول هؤلاء الى النيابة . ومع هذه المنة من قبل الرئيس على هؤلاء الكفرة ، على حد قول عبد المحسن ابو النور المذكور ، فانهم كانوا يتجرأون على مناقشة الوزراء ومضايقتهم . وكل العالم يعلم ان هؤلاء المساكين ما ضايقوا احدا بالمعنى الصحيح « للمضايقات » النيابة . اي ان عبد الناصر كان يضيق ذرعا حتى بمثل هذا المجلس . .

ان خروجي من الجيش كان سببه اني لم اكن لاقبل بمخالفة

النظام والقانون ، ولم أكن لأقبل بامتهان كرامة الجيش السوري ، ولم أكن لأقبل بالتسريح بناء على وشاية سخيفة او بدون حق ، ولم أكن لأقبل بالنقل الا لصالح الخدمة . ان الجيش السوري لم يكن ولن يكون بالشكل الذي وصفه به عبد الناصر في اعقاب ثورة ٢٨ ايلول بلسان حسنين هيكل في تحقيقاته الصحفية المحزنة . لم يذهب الضباط الى الوحدة لانهم يتربصون ببعضهم البعض كما قال عبد الناصر . ولم يكن يدفعهم الى ما قاموا به الا وظيفتهم وتفانيهم في حب امتهم . انهم بمجموعهم وبدون استثناء من الجندي البسيط حتى القائد الكبير مثال الوطنية الحقبة ونكران الذات . لذلك فشلت كل مؤامرات الاستعمار وتحطمت على صخرة وطنية شعبنا وجيشه الباسل . وانا لا اقول هذا من باب الحماس لجيش تشرفت بقيادته في فترة من الزمان وانما يقوله تاريخ امتنا من يوم جلاء الاجنبي حتى اليوم . واذا كانت الدعاية الناصرية البذيئة نسبت الي امورا لا تمت الى الواقع باية صلة ، فان هذه الدعاية كذبت نفسها عندما قالت بلسان هيكل المذكور ، الذي هو في الواقع لسان عبد الناصر انني ضربت بقبضتي على طاولة المشير وانذرت ان لا تكرر مصر في سورية ما ارتكبه الادارة المصرية من سخافات في السودان ، لانسيء النية المتحزب لا تصل جرأته الى هذا الحد في الدفاع عن وجهة نظره . اما الواقع فهو انني كنت ادافع بكل ما اوتيت من قوة وايمان عن الوحدة بدفاعي عن مصالح سورية ومصالح جيشها . لكن هل كان عبد الناصر ينبغي الوحدة حقا ؟ ابدا لم يكن ينبغي الا التوسع .

ان البلد المتخلف ليس له من عدو الا التخلف ومن يقف وراء التخلف • ومن البديهي أن الاستعمار هو اول من يقف سندا لكل تخلف في العالم • ذلك لان التخلف في بلاد الغير يضمن له نهب ثروات هذا الغير : يضمن له التخلف سوقا يصرف فيه منتجاته ، ويضمن له نهب المواد الاولية الثمينة ، كالبتروول وغيره بابخس الائتمان • والاستعمار الذي يقف على رأسه الامريكان يعتبر كل خطوة للبناء في بلد متخلف شيوعية ، ويعتبر كل من يدعو الى منعه من الاستغلال ، بناء وطنه شيوعيا • ان الاستاذ خالد العظم مثلا شيوعي بنظر الاستعمار الامريكي ، وان كل حركة تهدف الى تصنيع سوريا هي بنظر هذا الاستعمار حركة شيوعية •

ونحن معشر العرب لا نكره الاستعمار بدافع اخلاقي فقط ، بل نكرهه ونحقد عليه لما انزله فينا من مصائب وكوارث : سلب منا فلسطين وسلمها للصهاينة ، قتل أكثر من مليون جزائري ، وهو ما زال يحتل اجزاء كبيرة من وطننا العربي ، ما زال ينهب بجشع ثرواتنا البترولية ، ما زالت بلادنا تؤلف سوقا لتجارته اللصوصية الخ • • لذلك لا يمكن ان تسحج الدعوة الى البناء والتقدم في بلادنا مع الاستسلام لاي مستعمر من المستعمرين • وان مما يضعف نضالنا ضد اسرائيل مثلا هو انتشار الامريكان وغيرهم من المستعمرين وتقلهم بكل حرية في دوايرنا ومنظماتنا الوطنية • ذلك لان هؤلاء على أقل تقدير ، ينقلون الى العدو كل ما يريد هذا العدو من اخبار الا ان تجاربتنا تؤكد لنا ان عمل هؤلاء المستعمرين لا يقتصر فقط على التجسس ، وانما ينشطون دوما في

جيك المؤامرات لمنع الاستقرار الذي لا يمكن التقدم بدونه ، ان لم نقل لا يصلح اعوانهم الى الحكم ، كذلك الاتفاقيات التجارية والمالية غير المتكافئة لا تتسجم مع خططنا لبناء اوطاننا لان مثل هذه الاتفاقيات تستنزف ثرواتنا فلا يبقى منها ما يكفي للبناء في بلدنا .

وقد دلت جميع التجارب التي عاينها بانفسنا ان انجح طريقة للتغلب على كل المصاعب التي يضعها الاستعمار والتخلف في طريقنا هي قيام الجهات الوطنية التي تتألف من كل من له مصلحة في البناء والتقدم : الجهات التي تضم الفلاح والعامل والتاجر وصاحب المصنع واصحاب المهن الخ . . ذلك لان التقدم هو في صالح الغالبية العظمى من الناس في البلد المتأخر . وعلى العكس ، فان غياب مثل هذه الجهات الوطنية عن الساحة يسهل الى حد بعيد مناورات المستعمرين ويوقع الوطن في براثنهم . فالحكم الناصري مثلا ، الحكم الذي حطم كل المؤسسات الوطنية ، الاقتصادية والسياسية ، انزلق الى الاستسلام للاستعمار الامريكى واصبح ينفذ له جميع رغباته الاساسية في وطننا العربي . وقد افضح هذا الانزلاق يوم اعلن الرئيس عبد الناصر انتهاء المعركة مع الاستعمار في اول أيام الوحدة . .

كل منا يذكر هذا الاعلان الرسمي العجيب من قبل رئيس دولة تخوض معركة الموت او الحياة مع الاستعمار وربيبته اسرائيل . اتنا الآن ، نلمس نتيجة هذا الاعلان في البيانات الرائعة والمحفزة التي نشرها مؤخرا على الرأي العام العربي الاستاذ اكرم الحوراني . وانتي لا أريد هنا تكرار ما اورده الاستاذ الحوراني في بياناته الأنفة الذكر

عن مواقف عبد الناصر من قضايا تسليح الجيش وفتح العقبة وتحويل نهر الاردن الا أنه من المفيد ان اذكر حادثة واحدة ذكرها لي مسؤول كبير جدا في الدولة عن مشروع جونستون الاميركي الاسرائيلي . وكان حديث هذا المسؤول في اول ايام الوحدة فقال ان جمال عبد الناصر كان منذ ما قبل الوحدة بزمن طويل يلح الحاحا شديدا على السوريين بقبول هذا المشروع الاستعماري وكان جواب السوريين له بانه لا يقدر بهذا الالاحاح ظروف سوريا !.. ونحن الان نلمس نتيجة سياسة ارضاء الاستعمار في حالة العرب وما هم عليه من انقسام وتشتت في الرأي . أما عدوتنا اسرائيل التي أنعشها عبد الناصر بفتح العقبة فانها ترقص حورا لما نحن فيه من فوضى سببتها لنا الدكتاتورية الناصرية .

ان الرئيس عبد الناصر لا يحسن التكلم باسم العرب . فهو في كل مرة يحاول فيها سرد تاريخ الامة العربية يفتل اقطار العرب لصالح مصر ويفضل شعب مصر لصالح نفسه . ففي بيانه الاخير ، البيان المطول الذي سرده امام ما سماه مؤتمر القوى الشعبية ، غطى العرب بقصص الفراغة بل انه لم يجعل من الفتح الاسلامي العربي اكثر من ضوء يلقى على مفاخر مصر وامجادها . ولست من الذين ينكرون على الشعب المصري مفاخره وامجاده ولست من الذين ينكرون الانار العظيمة للمدنية الفرعونية على التقدم الانساني . الا ان للعرب الاخرين مفاخرهم ايضا . وهي لا تقل عن مفاخر الفراغة بالضخامة والنوعية . كما ان الحضارة العربية لم تكن مجرد ضوء يلقى على آثار الحضارات القديمة وعلى بقاياها لابرار خرائب التاريخ من خلال ظلمة الليل . انها كانت

حضارة عالمية احييت ما يستحق الحياة من تراث السابقين ، وابدعت كل مايمكن ابداعه في ظروفها التاريخية . وكان ما ابدعته هذه الحضارة يحرق زاخر من الفكر والجمال .

ومع ان مصر هي كل شيء في نظر المؤرخ عبد الناصر ، نجده عندما يروي تاريخها الحديث في بيانه الانف الذكر يتهم جميع قادتها الذين سبقوه بالتقصير في حق الشعب وبالانتهازية والخيانة : من سعد زغلول حتى محمد نجيب . ذلك لان مفهوم الشعب عند عبد الناصر يتطابق مع كل مفهوم ديكتاتوري عن الشعب . وكأنه كان على سعد زغلول مثلا ان يكون شبه اله فيقول للشيء كن فيكون ، وليس زعيما انسانا ، كأى زعيم آخر ، عليه ان ينسجم مع الامكانيات التاريخية . ولعل سعد زغلول اول فلاح مصري يتزعم حركة وطنية ضخمة منذ عشرات القرون وهو قد سجن ونفي وجاع واضطهد كما ينفي ويجوع ويضطهد كل زعيم يقود نضالا وطنيا . اما عبد الناصر فلم نسمع عنه الا بعد ٢٣ يوليو أي أنه لم يذوق ذرة مما ذاقه سعد زغلول في سبيل وطنه . وهو اذا كان يتبرع باعضابه ودمه في سبيل امته ، فهو يفعل ذلك وهو جالس على كرسي فاروق في قصور فاروق . الا ان انكار كل الحركات الوطنية التي قامت في مصر وفي غير مصر من البلاد العربية ، قبل ٢٣ يوليو ، بانكار زعماء هذه الحركات وانكار نتائجها الايجابية ، ما هو الا في غاية وضع عبد الناصر كبداية ونهاية للعالم العربي ، او تأليهه على العالم العربي بعد تأليهه على مصر . وهذا هو الحكم الديكتاتوري بعينه . الا ان الشعب المصري كذب عبد الناصر



بوجهه عندما صفق مندوبو المؤتمر الأنف الذكر طويلا وبحماس كبير  
لاسم سعد زغلول الذي مر في تقرير الرئيس .

ان الشعب السوري عريق في بطولاته ، فقد دفع عشرات الالوف  
من القتلى في عهد الانتداب الفرنسي للتخلص من هذا الاستعمار البغيض .  
وهو في عهد الاستقلال ضحى من اجل الاقطار العربية ومن اجل حرية  
هذه الاقطار بكل ما يستطيع تضحيته . ففي فلسطين كانت تضحيتنا وما  
زالت اكبر من اي قطر آخر مع اننا أصغر الاقطار العربية حجما .  
ونحن لم نقصر ابدا في مد يد العون الى شعب الجزائر الشقيق ، وقد  
وقفنا المواقف المشرفة ضد الاستعمار لحماية استقلالنا ولموازرة الشعوب  
الاخري .

وانا عندما نسير نحو اهدافنا الشريفة لا نحتاج لوصاية اي فرد  
من الافراد ، بل نسير الى هذه الاهداف بانفسنا . ونحن لا نصدق ابدا  
ان ديكتاتورا بجهازه البوليسي يتمكن من تحقيق الحرية والاشتراكية .  
ان الحرية والاشتراكية يأخذهما الشعب ولا يعطاهما من قبل البوليس .

انني لا أقول اننا نادينا هنا بوحدة العرب ، جميع العرب ، قبل  
عبد الناصر بكثير ، ذلك لان عبد الناصر لم يناد بهذا ابدا وانما نادى  
بتوسع الديكتاتورية الناصرية . وان اية دعوة عربية صحيحة لن تحرز  
تقدما الا بزوال الحكم الديكتاتوري الناصري قبل كل شيء . ونحن

نؤمن بالشعوب ايماناً راسخاً لا يتزعزع ، لذلك نؤمن بقدره الشعب  
المصري على ايجاد طريقه نحو الحرية والديمقراطية الحقة .  
ثم ان الايام ، بل الساعات ، تعد في عمر الديكتاتوريين ، ولا تعد  
السنون في عمر الشعوب ولا تعد في الاتجاهات الصحيحة .

عبد الناصر .. واميركا .. و ثورة العراق

في أيام أزمة السويس والعدوان الاستعماري على بور سعيد كنت  
أمرا لقطعة سورية تعسكر في شمال الاردن وكان يعسكر الى جانبنا  
جحفل عراقي بقيادة الزعيم عبد الكريم قاسم . . وكانت ترد الى قيادة  
الجيش السوري في تلك الاثناء أخبار عن مؤامرة كبرى يحكيها نوري  
السعيد للاطاحة باستقلالنا . فتلقيت لذلك تعليمات من قيادة جيشنا  
بمحاولة الانصال بالضباط العراقيين للاطلاع على آرائهم في الاوضاع  
العربية بصورة عامة وآرائهم بموقف حكومتهم التي كانت تتآمر علينا.  
وقمت بالاتصالات اللازمة ، فهيات في أواخر شهر تشرين الثاني  
عام ١٩٥٦ لقاء سوريا عراقيا في خيمة قرب مطار المفرق وكنت أنا في  
هذا اللقاء ، من الجانب السوري ، ورئيس الاركان توفيق نظام الدين  
وأمين النفوري وعبد الحميد السراج . وكان من الجانب العراقي  
الزعيم عبد الكريم قاسم والعقيد عبد السلام عارف . وبعد أخذ ورد  
طويلين أفضى الينا الزعيم قاسم بسر خطير يتلخص بأن هناك منظمة  
واسعة جدا من الضباط الاحرار العراقيين ، وأن هذه المنظمة والاكثرية  
الساحقة من الجيش والشعب العراقي غير راضين أبدا عن أوضاعهم  
في العراق وهم ينتظرون الفرصة الملائمة للقضاء على تلك الاوضاع

الفاصلة • وقد شرح لنا خطة المنظمة الآتفة الذكر للوصول الى هذا الهدف • وأضاف بأنه واخوانه لن يكرروا أخطاء حركة عام ١٩٤١ فتركوا المجرمين يفرون الى خارج العراق ، ليعودوا بعد ذلك على رأس قوات أجنبية تساعدهم على اذلال الشعب العراقي مرة اخرى ، بل ان الثورة لن تندلع الا اذا ضمن الثوار وجود جميع اولئك المجرمين للقبض عليهم • ثم اتنا التقينا بالضباط العراقيين بعد هذا اللقاء عددا من المرات ، وفي آخر مرة أي قبل عودة الجحفل الى بغداد ، طلب الينا الزعيم قاسم ان لا نحاول الاتصال به في العراق لانه هو الذي سيدبر هذا الامر بايقاده من يثق به الى دمشق وذلك حفظا للسر • الا أن أخباره انقطعت عنا حتى قيام ثورة ١٤ تموز •

وكان استمرار اتصالتنا بالضباط العراقيين مفيدا لنا جدا في ظروف المؤامرات الاستعمارية التي كانت تحيط بسورية طيلة عام ١٩٥٧ • فبعد اكتشاف مؤامرة ستون جن جنون الاستعمار الاميركي ، وأخذ دلس وزير خارجية امريكا يحرض علينا شقيقتنا الدول العربية : لبنان والعراق ، والاردن ، والسعودية • وقد أصدر بيانه الشهير بأن سورية تشكل خطرا على كيان واستقلال هذه الشقيقات • وكل سوري يتذكر جيدا تلك الظروف العصيبة التي مررنا بها حينذاك • وكان من الطبيعي انذاك أن نتذكر صداقاتنا في الجيش العراقي فطلبت من السراج رئيس الشعبة الثانية في جيشنا ان يفعل كل ما باستطاعته للاتصال بالزعيم عبد

الكريم قاسم • فقال لي ان هذا الامر صعب وغير مفيد لان لديه معلومات تدل على عدم اخلاص هذا القائد العراقي فأكدت أمري للسراج باقامة الاتصال بالضباط العراقيين الاحرار بأي ثمن ، لما في هذا الاتصال من فائدة كبيرة لنا بمنع نوري السعيد وطغمته من جر الجيش العراقي الشقيق الى مواقف تسيء الينا •

ثم ان الامور تطورت بعد ذلك ، واتجه الاميركان الى تحريض تركيا لغزونا وقام الحشد التركي بالفعل على حدودنا الشمالية الا أن فائدتنا من موقف ملائم للجيش العراقي آنذاك كانت وما تزال قائمة فسألت السراج مرة عما تم بمسألة الاتصال بالزعيم قاسم فأجابني ان شيئاً لم يتم بعد لان قاسم على حد قوله يتهرب من كل اتصال بنا • وأضاف السراج قائلاً ان لديه معلومات أكيدة تفيد بأن قاسم هو من جماعة نوري السعيد ، وكان كاذباً • لان اتصاله بالقائد العراقي المذكور لم ينقطع أبدا فكان الضباط الاحرار العراقيون يأتون الى دمشق بلا انقطاع وكانوا يتصلون بالسراج كممثل للقيادة السورية ، الا أن هذا الاخير كان يحتفظ بهذه الاسرار لا لقيادة جيشه السوري وهو رئيس الشعبة الثانية في أركان هذا الجيش وانما لعبد الناصر •

ومن المؤسف ان هذا الامر بقي مجهولاً من قيادة الجيش ولم يدر به أحد الا بعد فوات الاوان • وهو يشكل كما يتضح جريمة بشعة ارتكبتها السراج والناصرية •

وليس من حق السراج ان يكتف عن قيادة جيشه معلومات كهذه على درجة كبيرة من الخطورة • وكانت في وقتها في غاية الاهمية

والفائدة للدفاع عن استقلال سورية ، وليس من حق عبد الناصر ان يتصل بالسراج من وراء ظهر الجميع فيحرضه على كتم هذه المعلومات الخطيرة عن الجيش السوري الذي يشترك مع الجيش المصري في قيادة مشتركة في تلك الايام . لقد كانت سورية مستقلة آنذاك ، وهي دولة عربية كانت تحيط بها أخطار مميته . فكانت بأمس الحاجة الى تلك المعلومات في تلك الظروف . بل ان تاريخ المنطقة كلها كان يتغير لصالح العرب قاطبة لو لم يخف عنا السراج ، بتحريض من عبد الناصر ، هذه الاتصالات بضباط الجيش العراقي الشقيق . ومن الواضح أن هدف عبد الناصر وهدف سياسته من هذا الفعل هو :

منع القوى العربية الثورية من الاتصال بعضها ببعض ليسهل عليه تشتيت هذه القوى وليسهل عليه بالتالي ابتلاع الاقطار العربية الواحد بعد الآخر . فسوريا مثلا تكون أكثر لنا للوقوع في شباكه عندما تجهل الاوضاع على حقيقتها في العراق . ثم ان ابتلاع العراق يكون أسهل بعد ابتلاع سوريا الخ .

ولقد عرفت بعد قيام الوحدة مع مصر أن عبد الناصر كان يستخدم السراج لمعرفة تطورات الامور في العراق . فبلغني في أوائل تموز عام ١٩٥٨ ان رئيس المخابرات المصرية كمال رفعت جمع بعض اللاجئين العرب في دمشق وقال لهم أن يكونوا على استعداد لان أحداثا خطيرة ستقع عما قريب في العراق . وعندما اندلعت ثورة الرابع عشر من تموز كنت في القاهرة ، فعدت الى دمشق في ذات النهار على الرغم من عدم رضاه السلطات الناصرية . لقد كنت عضوا في مجلس وهمي

لا وجود له وهو مجلس التخطيط الاعلى وكنت أقضي وقتي بدون اي عمل في هذه الوظيفة الوهمية • وقد خمنت ان سوريا اصبحت في خطر من الاستعمارين الاميركي والانكليزي وان من واجبي أن أترك القاهرة الى دمشق ، لاشترك في الدفاع عن وطني اذا ما دعت الحاجة الى ذلك • وقبل مغادرتي القاهرة قابلت المشير عامر وكان عنده عدد من المسؤولين واذكر منهم السراج وعلي صبري ، وقد اخبرني السراج عندئذ بأنه أتى الى القاهرة في اليوم السابق اي عشية ثورة العراق • وعندما سألته فيما اذا كان على علم مسبق بالحركة اجابني بالايجاب وقال ان ضابطا عراقيا اتى اليه في دمشق واخبره بتوقيت الثورة • وكان مجيء هذا الضابط ، على حسب قول السراج ، في أوائل شهر تموز • أي في زمن قريب من ذلك الذي كان كمال رفعت يخبر فيه اللاجئين عن أحداث خطيرة ستقع في العراق •

وقد استدرك السراج ، بقصد التمويه علي ، فقال ان هذا الضابط من غير جماعة الزعيم قاسم •• وفي طريق العودة الى دمشق كنت مع السراج في طائرة واحدة ، وقد قص علي خلال السفر قصصا كثيرة عن الثوار العراقيين وذلك بقصد التبجح واظهار الخدمات الهائلة التي قدمها لعبد الناصر بالذات في العراق •• وكان في كل هذه القصص يخفي كل ما قام به العراقيون من اتصال بالجيش السوري قبل الوحدة •

وقد تبجحت الصحافة الناصرية بقولها ان عبد الناصر هو الذي دفع الضباط السوريين ليتصلوا باخوانهم العراقيين في الاردن اثناء حوادث السويس عام ١٩٥٦ • وكان هذا التبجح بعد احداث الموصل الدامية وبعد



نور العلاقات بين ناصر وقاسم ، وقالت هذه الصحافة ان الرئيس عبد  
الناصر استمر في الاتصال بالجيش العراقي بعد ذلك • - ليشرف - على  
تقدم العمل في تنظيمات الضباط الاحرار • وهنا لا بد لي من القول ،  
خدمة للتاريخ والحقيقة ، ان عبد الناصر ما كان في ايام العدوان الاستعماري  
على بور سعيد في وضع يسمح له بالتفكير في امر الاتصال بالضباط  
العراقيين ، وقد ذكرت آنفا الدوافع التي حثت بالقيادة السورية للقيام بهذا  
الاتصال ؛ وانني أجزم هنا بأن اخواننا ضباط الجيش العراقي كانوا عندما  
اتصلنا بهم مستئين عزمنا للتخلص من حكامهم الفاسدين وما كان  
ليعوزهم أحد لتنظيم امورهم •

وقد اتضح لي الامر بشكل جلي عندما أتى العقيد عبد السلام  
عارف الى دمشق ليجتمع لأول مرة بالرئيس ناصر وذلك بعد ثلاثة أيام  
من قيام ثورة العراق • فقد كنت في قصر الضيافة واقرب مني أحد مرافقي  
عبد السلام عارف وقدم نفسه الي بصفته احد ضباط الثورة واحد الذين  
كان يرسلهم عبد الكريم قاسم الى قيادة الجيش السوري ، وفهمت منه  
أن السراج كان يمنعه من مقابلي ومن مقابلة أي ضابط من ضباط الاركان ،  
في كل مرة كان يأتي فيها الى دمشق ، وذلك بمختلف الحجج •• وقد  
أصابني الدهول مما سمعت عندئذ وبدأت تشرق في ذهني الحقيقة عارية ،  
حقيقة الناصرية المتأمرة مع السراج ( عينا واذنا ) منذ ذلك التاريخ القديم •

ومن الخطأ الفادح ان تتوهم ان الاستعمارين الاميركي والبريطاني ،  
يتفقان ويتصافيان في أمر اقتسامهما بترول العرب • فالوحوش الكاسرة  
قلما تتفق على اقتسام فريسة ، وكلنا نذكر كيف عمل الاميركان على

- تسليح - الانكليز قسما كبيرا من حصتهم في بترول ايران باجهاضهم الحركة الوطنية الايرانية ، ثم ضربهم اياها وسحقها • وان كل الدلائل تشير الى أن شهية امريكا ما زالت متفتحة لابتلاع ما بقي من بترول بيد الغول الانكليزي ، في العراق والكويت والجنوب العربي • والطريق الى هذا واضح بالنسبة الى الاميركان وهو اجهاض الثورات الوطنية ضد الحكام الخونة الخائعين للاستعمار البريطاني وتحويل هذه الثورات الى حركات انتهازية تنزلق في النتيجة لتقع في شباكهم ، وذلك تحت مختلف الشعارات الزائفة التي ظاهرها وباطنها العذاب المقيم •

ومن الواضح أن مثل هذه السياسة اذ تسمح لامريكا بابتلاع حصص شركائها المستعمرين الاخرين تضمن لها المحافظة على حصصها الاصلية أيضا من أن تعصف بها حركات التحرر •

ان الحركات الوطنية في العالم العربي لا تفصل عن بعضها البعض ابدا وهي تنفعل ببعضها البعض • وسوريا التي سبقت جميع الاقطار العربية بالتحرر من قيود الاستعمار تقع في القلب من كل حركات التحرر العربي • لذلك كانت أنظار الاستعمار متجهة اليها بشكل دائم وعلى الاخص انظار الاستعمارين الاميركي ، والانكليزي ، فالاستعمار الاخير يرى أن استقرار نفوذه التقليدي يرتبط بالسيطرة على سورية • والاستعمار الاول يرى ان اجهاض الحركات الوطنية في البلاد العربية ، وفي بلاد البترول على الاخص ، وتحويل هذه الحركات الى حركات انتهازية يقودها عسلاؤهم ، يرتبط بالسيطرة أيضا على سورية • لذلك

كانت كل خطوة يخطوها بلدنا نحو تعزيز استقلاله وتوطيد حريته  
تبعث الخوف والقلق لدى كل من هذين الاستعمارين • وقد رأينا كيف  
كان الجنون يتاب هؤلاء المستعمرين جميعا عندما كنا نكتشف مؤامراتهم  
ونستمر قدما في توطيد حريتنا واستقلالنا •

وكان الاستعمار البريطاني يتهالك قبل الحكم الناصري وفي أثناء  
الحكم الناصري على ضم سورية الى تشكيلة عربية تخضع لنفوذه ،  
وبذلك كان يأمل أن يستريح الى أمد طويل ، وان يستترف ثروات  
العرب البترولية و ثروات أسواقهم بدون مزاحم ثقيل الظل كالاميركان •  
وكان الاستعمار الاميركي يتهالك قبل الحكم الناصري على اخضاع  
سورية باقامة ديكتاتوريات تآتمر بأمره ، أملا ان يقفز على ظهر  
هذه الديكتاتوريات الى البلدان الاخرى للمنطقة وأن يطرد  
الاستعمار البريطاني منها ليحل مكانه في التمتع وحيدا بترولها و ثرواتها •  
الا أننا نجد أن الاستعمار الاميركي لم يحرك ساكنا ضد الاوضاع في  
سورية طيلة الحكم الناصري ونجده قد انزعج كل الانزعاج لتخلصنا  
من هذه الاوضاع •

جرى قبيل الحشد التركي على حدودنا اجتماع لمنظمة حلف بغداد  
في اسطنبول • وقد حضر هذا الاجتماع وكيل وزارة الخارجية  
الامريكية : هندرسون • وعندما قامت ثورة ١٤ تموز في العراق فضح  
الثوار بعض وثائق حلف بغداد الهامة • ومن جملة هذه الوثائق قرار  
المجتمعين المذكورين ، وكان البند الاخير من هذا القرار يقول :

**ترى امريكا ضرورة تنبيه الرئيس جمال  
عبد الناصر الى خطورة التطورات الاخيرة في  
سورية •**

ان الرئيس عبد الناصر لم يكن نائما عندما فضحنا مؤامرة ستون  
وطردناه من سورية فهو لم يكن بحاجة الى التنبيه •• وهذا التنبيه  
اللطيف لا يمكن أن يأتي الا من صديق يطمع كثيرا في مساعدة صديقه •  
•• وتمر الايام وتقوم ثورة العراق ، وكان لبنان آنذاك مسرحا  
لصراع دام بين الشعب اللبناني وبين حكومته الخانعة للنفوذ البريطاني •  
وكان الاردن يتململ ليطرد العملاء الانكليز من بلاده ، فأية محنة تلك  
التي كانت تمر فيها بريطانيا ، تلك الايام ، في منطقتنا • أما أمريكا فقد  
رأت أن الفرصة مناسبة لتحويل ذلك المد الثوري الى مد انتهازي يقع  
في قبضتها ، فنضرب عصفورين بحجر واحد :  
طرد الانكليز والحلول مكانهم بعد قمع الثوار الحقيقيين : أعداء  
الاستعمار •

وقد نزل الامريكان في بيروت بسرعة مذهلة تدل على معرفتهم  
الثامة بتوقيت ثورة العراق ولسنا بحاجة الى استنتاج هذا الامر لان  
امريكا ذاتها اعترفت فيما بعد بأنها كانت على علم مسبق بثورة العراق ،  
فمن أين أتاهم هذا العلم يا ترى ، ولم يكن لضباط الثورة العراقية أي  
اتصال الا بالمخابرات الناصرية !؟

ولقد كان الاطمئنان يسود جميع الدوائر المسؤولة في الجمهورية  
العربية المتحدة عند النزول الاميركي في لبنان • وكان هذا الاطمئنان  
يخالف كل منطق سليم في حالة وجود توتر بين بلادنا وبين اميركا •  
ان ثورة العراق كانت ضربة مخيفة لجميع المستعمرين ، وقد أعلنت  
سلطاتنا من اليوم الاول وقوفنا الى جانبها ، فيجب اذا أن تتوتر العلاقات

بيننا وبين جميع المستعمرين واميركا من ضمنهم • والواقع ان امريكا كانت موافقة كل الموافقة على اجهاض الثورة الوطنية العراقية وتحويلها الى حركة ناصرية ، بينما كان الانكليز يأملون في اجهاض هذه الثورة وتحويلها الى حكم خاضع لنفوذهم بمساعدة أعوانهم في العراق وفي المنطقة • وسأحاول فيما يلي رواية ما شاهدته بعيني عند قيام ثورة العراق •

عندما قابلت المشير عامر قبل عودتي من القاهرة الى دمشق في اليوم الرابع عشر من تموز قلت له ان الامريكان لا بد نازلون في لبنان في الايام القليلة المقبلة كما أن الانكليز لا بد نازلون في الاردن فعلينا لذلك أن نتخذ جميع ما يلزم من احتياطات للدفاع عن سوريا ولمساعدة العراق اذا نزم الامر • فأجاب ، وعلائم الاطمئنان بادية بوضوح على وجهه ، ان لا خطر يهدد سوريا ، وقد استغربت آنذاك أشد الاستغراب لهذا الجواب الابله في الظاهر • • كما دهشت لاطمئنان المشير •

وفي اليوم التالي لوصولي الى دمشق أي في ١٥ تموز حضرت جلسة المجلس التنفيذي الذي كان مجتمعاً في قصر المهاجرين • وقد لاحظت أن الوزراء أعضاء المجلس كانوا في حالة ضيق شديد بسبب ورود الاخبار عن الانزال الاميركي في لبنان ، وهم لا يستطيعون فعل شيء بسبب غياب الرئيس ناصر خارج البلاد في زيارة ليوغوسلافيا ، ولأن هذا الرئيس لم يترك لهم من الامر شيئاً • وأذكر انني تدخلت في المناقشة وقلت لاعضاء المجلس أن سورية تمر بظرف دقيق جداً وأن سلامتها مهددة بأشد الاخطار من الغزو الاميركي ، فيجب والحالة هذه

عدم اضاءة الوقت واتخاذ بعض الخطوات اللازمة التي تجعلنا في وضع أفضل للدفاع عن أنفسنا؛ وأضفت أن غياب الرئيس لا ينزل عن كاهلنا مسؤولية العمل حالا لرد غزو أميركي لا يضمن أحد أبدا عدم وقوعه على سوريا • عندئذ تدخل السراج وعارض أية خطوة تتخذ في سبيل تعزيز مواقعنا • وكان ينفذ بدون شك الاوامر التي تلقاها من القاهرة عندما كان فيها بالامس •

وبعد يومين من هذا التاريخ وصل عبد الناصر الى دمشق من موسكو • وكان وصوله هذا مثار دهشة الجميع • فكل الناس كانوا يعرفون أنه كان في يوغوسلافيا • ولم يكن منتظرا أبدا ان يأتي من موسكو وكنت قد حضرت أول اجتماع له بالوزراء السوريين في قصر الضيافة ، وسمعته يروي قصة ذهابه الى الاتحاد السوفياتي فقال : سمعت بشورة العراق وأنا أعادر يوغوسلافيا عائدا الى مصر • عندئذ عدت ونزلت في البر اليوغسلافي حيث أخذت طائرة أوصلتني الى موسكو • وقد تداولت هناك مع المسؤولين السوفيت في قضايا منطقتنا على ضوء التطورات الاخذة التي سببتها ثورة العراق النخ ••

ومن الواضح أن هذه الرواية غير صحيحة ، فهو لم يسمع بشورة العراق وهو في طريق عودته الى مصر لانه كان كما رأينا وكما اعترف هو بذاته فيما بعد على علم مسبق بتوقيت هذه الثورة • وهو بعد ان ضمن موافقة الامريكان على ضم العراق الى الناصرية أراد أن يضمن السوفيت لمخططه ، وقد وقت زيارته في الايام التي كانت ستقع فيها الثورة العراقية وذلك ليهرع من هناك الى موسكو متظاهرا بالفرع من

الاستعمار وبضرورة ضم العراق اليه • وتبين فيما بعد أنه قال للسوفييت ان الثوار العراقيين من رجاله وانه هو الذي أشعل هذه الثورة ضد الاستعمار الخ •• وقد سمعت هذا الخبر من أحد الوزراء السوريين في القاهرة بعد عودتي اليها كما شاع بين الكثيرين هنالك •

ولم تتخذ السلطات الناصرية في سورية عند نزول الامريكان في لبنان أي اجراءات عسكرية جدية • لم تعلن التعبئة ، وبدلا من تعزيز سلاح المقاومة الشعبية جمعت أسلحة هذه المقاومة • أما في قصر الضيافة فقد كان الجو جو سلم بكل ما في الكلمة من معنى • وكانت مشاغل الرئيس عبد الناصر بعيدة كل البعد عن الاستعداد للخطر الاميركي القابع على بعد مائة كيلو متر فقط : في بيروت ، فكان يجمع فؤاد جلال وخريجييه ويتكلم معهم عن كيفية بث الدعاية له في العراق • ومن المعروف ان فؤاد جلال هذا تحت اسم جماعة الخريجين التي يرأسها والتي تمتد في جميع البلاد العربية ، يقوم بنشاط ناصري محموم • وهو يعد من أول مساعدي عبد الناصر في شؤون الدعاية في البلاد العربية • ثم انه لم يمض وقت طويل على وصول ناصر من موسكو الى دمشق حتى أخذ فؤاد جلال ومعاونوه طائرتين مليئتين بصور الرئيس ناصر وبالمنشورات الناصرية وذهبوا جميعا الى العراق • وتدقق بهذا الشكل سيل الناصريين على القطر الشقيق منذ الايام الاولى للثورة • وامثالاً العراق بهم • وكان من الواضح كل الواضح ان عبد الناصر كان يعمل لتوجيه الثورة لصالحه • وكان في ذات الوقت مطمئنا كل الاطمئنان من جهة الامريكان •

واعترف الرئيس عبد الناصر بخطاب له أثناء وجوده بدمشق أيام ثورة ١٤ تموز أن اتصالات كانت تجري بينه وبين الاميركان وانه اتفق معهم على تغيير الحكم في لبنان وحتى وعلى أسماء الحكام الجدد وذلك بحجة انتهاء الحرب الاهلية التي كانت تقوم في القطر الشقيق آنذاك . وهذه حجة واهية جدا اذ ليس من حق أي عربي يحترم نفسه أن يعترف لمستعمر بحق التدخل في الشؤون الداخلية لبلد عربي شقيق . الا أن هذا الامر يدل بوضوح تام على الصلات الوثيقة التي كانت تربط عبد الناصر بالاميركان عشية ١٤ تموز ، يضاف الى هذا أن الحوادث كذبت ادعاءات الاميركان من أنهم أتوا لحماية الحكومة الشرعية في لبنان : أي حكومة شمعون . وانتهى الامر الى تنفيذ اتفاقهم مع عبد الناصر بحذافيره وبحماية حرايبهم ، ضد نظام الحكم الذي أتوا لنجدته .

وبعد فمما لا شك فيه أنهم أتوا لنصرة سياسة عبد الناصر في المنطقة عند اندلاع لهيب ثورة العراق ، الثورة التي كانوا على علم بها . وكان عبد الناصر على علم بها كما بينا آنفا :

- بتصفية النفوذ البريطاني في لبنان واحلال نفوذهم مكانه .
- بتهديد العناصر الوطنية المشتركة في ثورة العراق ، واخافتها ودفعها بالتالي الى الارتقاء في أحضان عبد الناصر .



عبد الناصر يعمل على اجهاض ثورة الجزائر

كي نفهم بوضوح تطورات الاحداث في الجزائر لا بد لنا من ان ننظر الى جميع القوى المشتركة في الصراع هناك ومن ان ننظر الى موضوع هذا الصراع .

كان القطر الجزائري ، قبل الحرب العالمية الثانية ، يوفر للمستعمرين الفرنسيين موردا كبيرا من اليد العاملة الرخيصة الثمن وكان هذا القطر يشكل مجالا واسعا لقيام الاستثمارات الزراعية الرأسمالية :

الحمضيات ، الخمور ، الفلين ، الحلقا ، الدوم ( نوع من النخيل يفيد في صناعة الورق ) الخ . .

وفي الجزائر توجد معادن الحديد التي تصدر الى انجلترا ، وفيها الفوسفات ، والذهب والرصاص والالمنيوم الخ . . وهناك بعض الصناعات الخفيفة . كما ان هذا القطر كان يشكل سوقا للتجارة الاستعمارية الفرنسية ، وكان يشكل مهجرا قريبا لكل فرنسي لا يجد عملا في وطنه الاصلي .

ومن المعلوم ان الاقتصاد الرأسمالي الاستعماري قد تطور منذ امد بعيد الى اقتصاد احتكاري يضم مجموعات من الاحتكارات الجبارة .

فملوك الاحتكار يجلسون على قمة هرم اقتصادي يشرفون منها على قطاعات اقتصادية كاملة تضم عشرات الشركات التي تنتج شتى السلع . لذلك لم تكن النشاطات الاقتصادية التي أثمرنا إليها أنفا في القطر الجزائري بعيدة عن التبعية للاحتكار الفرنسي . إلا أنه يجدر بنا ان ننسب الى ان المصالح العليا للاحتكار لا تتفق على الدوام مع مصالح اتباعه ، وعند وقوع اختلاف المصالح يكون الحل دوما في مصلحة الاسياد ضد مصدحة ( التبعية ) .

وبعد الحرب العالمية الثانية بدأت روائح البترول الجزائري تصعد بشدة ، وبدأت الجزائر لذلك تكتسب اهمية خاصة وتثير الانتباه الاحتكاري إليها . وحتى هذا التاريخ كانت الاحتكارات الفرنسية في مركز التبعية المخزي في « الكونسرسیوم » البترولي العالمي الكونسرسیوم الذي تزعمه امريكا وانكلترا معا . والسبب واضح : فليس لفرنسا ممتلكات فيها ثروات بترولية . وعندما تدفق البترول الجزائري صاح رئيس وزراء فرنسا بورجيس مونوري :

« ٠٠ ان ثروات الصحراء ومعادنها ستكون

العامل الفعال في رفع مستوى معيشة الفرنسيين »

وتالت الصيحات ، فقال بعض الاقتصاديين الفرنسيين عن البترول

الجزائري :

٠٠ انه بداية تحول خطير ، لكي تصبح

الجزائر موردا يرفع معيشة الفرنسيين ، وكثرا

يفدق عليهم الرخاء بعد طول الحرمان .

وبالفعل وجد ان مناطق البترول الجزائري الثلاث ، حاسي مسعود  
والرميلة والاعواط تتضمن احتياطيا من هذا الذهب الاسود يقدر بسبعة  
مليارات برميل ، وهذا تقدير اولي وقد بلغ الانتاج في عام ١٩٦١ نحو  
٦٠ مليون برميل ، وسيبلغ في عام ١٩٦٣ نحو - ٧٠ - مليون برميل ،  
اي ما يقرب من نصف احتياجات فرنسا من هذه المادة الثمينة . اما  
احتياطي الصحراء الجزائرية من الغاز فيبلغ الف مليار متر مكعب في  
منطقة واحدة منها فقط : منطقة حاسي الرميل ، التي تعد اول منطقة  
في العالم من حيث الغنى بالغاز . يضاف الى هذا مناطق صحراوية أخرى  
لم يجز تقدير ما فيها من غاز ، كما ان هناك - ٢٠٠ - متر مكعب غاز  
تخرج مع كل طن زيت . ثروات خيالية تستحق صيحات الحماس  
الفرنسية الآتفة الذكر ...

ولو ان الشعب الجزائري استكان للاستعمار الفرنسي لما كانت  
هنالك اية مشكلة أمام هذا الاستعمار : كانت الاحتكارية الاستعمارية  
الفرنسية تستطيع الاتفاق تماما مع اتباعها الفرنسيين أصحاب المصالح  
المباشرة في الجزائر القديمة ، الجزائر التي قلنا عنها انها لا تتضمن الا  
يد العاملة الرخيصة ، والا الحمضيات والخمور الخ . وذلك لان  
الاحتكار الاستعماري الفرنسي يضرب عصفورين بحجر واحد في حالة  
سكوت الشعب الجزائري : يسرق بترول الجزائر ، ويضمن لاتباعه  
استمرار سرقاتهم من هذا القطر : الاتباع الذين يدعون في العادة  
بالمستوطنين الفرنسيين . الا ان الشعب الجزائري لم يسكت وقام  
بشورته اللاهبة عام ١٩٥٤ . وقد حاولت الاحتكارات مع اتباعها المستوطنين

اخماد هذه الثورة بالقوة • فتقدم مندوبوا الاحتكارات الفرنسية الكبرى يطلب الى حكومتهم بعدم منح اي نوع من الحريات للجزائر • واقترح هؤلاء المندوبون مساعدات مالية ضخمة تدفعها احتكاراتهم لميزانية الحرب الاستعمارية في القطر الجزائري • وعندما عجزت الحكومات الفرنسية المتتابعة عن اخماد هذه الثورة الجبارة ، قامت الاحتكارات الفرنسية مع المستوطنين الفرنسيين بانقلاب عسكري اتى بالجنرال ديغول الى الحكم • وكان هؤلاء يظنون ان قلة حزم الحكومات البائدة كان هو السبب في فشل الجيش الفرنسي في قمع الثوار الجزائريين • الا ان الاحداث بينت ان حزم ديغول لا ينفع شيئاً امام البطولات الخارقة للشعب الجزائري ، وامام الفطنة والادراك الكبيرين لقادة هذا الشعب الثائر وامام الشعوب العربية التي لم تضن ابدا بالمساعدة للثوار ، وامام الرأي العام العالمي الحر المعادي للاستعمار • عندئذ لم تجد الاحتكارات الفرنسية بدا من ان تفعل شيئاً لانقاذ الاهم ، انقاذ المصالح البترولية في الصحراء ولو كان على حساب المصالح التافهة نسبياً للمستوطنين • لقد شعرت الاحتكارات الفرنسية بأن فرنسا اصبحت دولة ثانوية بسبب حرب الجزائر • فجيشها الذي يخوض حرباً استعمارية منذ مدة طويلة يخسر من جميع النواحي : في قتال الثوار ، في معنوياته وفي تدريبه • ان الحرب ضد المستعمرات تختلف عن الحرب ضد جيوش كبيرة • فهي لا تفيد شيئاً في التدريب في عصر تطورت فيه الاسلحة تطوراً كبيراً • فلا بد اذن من انقاذ الجيش الفرنسي ولا بد من انقاذ المصالح البترولية • لذلك وجدنا ديغول يهرع الى تقديم عدد كبير من العروض على الشعب الجزائري منذ عام ١٩٥٩ وانهى الامر

الى اجتماع - ايفيان - الاول بين الثوار وبين الفرنسيين • وقد دب الخلاف عندئذ بين الاحتكارات في فرنسا وبين المستوطنين ، لان الاعتراف للجزائر بحق تقرير المصير مع انقاذ المصالح الاحتكارية في بتروال الجزائر وانقاذ الجيش الفرنسي من الحرب الاستعمارية الجزائرية ، ينقذ الاحتكار الفرنسي الاستعماري ويرفعه الى سوية زميله الاميركي والبريطاني في اوروبا ، الا انه يفقد المستوطنين وضعهم كسادة لشعب مغلوب على أمره •

وهنا تتمكن من رؤية قوى أربع تصطرع في الجزائر في الاعوام

• ١٩٦٠ ، ١٩٦١ ، ١٩٦٢ •

١ - الشعب الجزائري بقيادة حكومته الثائرة ، ومن ورائه الشعوب العربية وكل الشعوب الحرة بما فيها احرار فرنسا ذاتها •

٢ - الاحتكار الفرنسي الاستعماري الذي يريد ضمان مصالحه البترولية في صحراء الجزائر ••

٣ - المستوطنون الفرنسيون اصحاب المصالح التافهة نسبيا - عند المقارنة بالمصالح البترولية - وانصارهم من غلاة المستعمرين في فرنسا ••

٤ - الاستعمار الاميركي الذي سنرى فيما يلي علاقته بهذا الصراع • ان رائحة دماء الضحية التي تنزف بمخالب الوحش المقرس تشير شهية وحش مقرس أضخم • لذلك نجد ان الامريكان يهرعون الى معمعة الجزائر وفي جعبتهم المدفع والدولار •• فمنذ أول أيام الثورة ، عندما لم يكن أحد من المستعمرين يتمكن من رؤية انتصار الشعب الجزائري ، اغدق المستعمرون الامريكان مساعداتهم على المستعمرين الفرنسيين •

كانت مدافع ودبابات وشاحنات وطائرات وذخائر امريكا تقتل الجزائريين الصابرين في جميع ميادين الجزائر الصامدة . وكانت دولارات امريكا تنهال على خزائن الحكومة الفرنسية المفلسة ، لمساعدتها على تمويل الحرب القذرة ضد شعب الجزائر . وقبضت الاحتكارات البترولية الامريكية ثمن هذه المساعدة حصة كبيرة من بترول الصحراء ، وجاء الفنيون الامريكان يشاركون الفنيين الفرنسيين في التنقيب عن هذا البترول .

ثم ان الحرب الجزائرية طالت ، وما كان مضي الايام الا ليزيد في قوة الثوار والثورة ، والا ليزيد في نفوذ الحكومة الجزائرية لدى شعوب الارض . وظهر اخيرا ان الشعب الجزائري لا بد متزعزع النصر في النتيجة مهما طالت الايام . ثم بدأت الاحتكارات الفرنسية الاستعمارية تتراجع ، وبدأت تفتش عن حل سلمي يحفظ لها مصالحها البترولية وينقذ لها جيشها من الحرب الاستعمارية الخاسرة . عندئذ لاحت امام نظري الاستعمار الامريكى آمال جديدة : لم لا يطرد الاستعمار الفرنسي نهائيا من الجزائر ليحل محله هو !؟

وبدأ التدخل الامريكى بشكل سافر منذ أواخر عهد - ايزنهاور - وكانت الصحافة الفرنسية تكتب حينذاك الابحاث الطويلة عن المطامع الامريكية في بترول الجزائر . وبلغ الامر الى أن مصافي البترول الموجودة في فرنسا والتي تخضع للكونسرسيوم البترولي العالمي الذي يسيطر عليه الامريكان ، اخذت عام ١٩٦٠ ترفض معالجة البترول الآتي من الجزائر ولم يكن في وسع الاحتكارات الفرنسية ان

نبنى مصافي جديدة للبترول ، لما يتطلبه هذا الامر من مال كثير ووقت طويل . . وفي ذات الوقت كان الضغط السياسي يرافق الضغط الاقتصادي فكنا نسمع من الطرف الامريكى مثلا ان امريكا لا تستطيع مساندة فرنسا طويلا في قضية الجزائر امام الامم المتحدة وفي المحافل الدولية . وكان هذا التهديد لا يفيد العرب شيئا من الناحية العملية ، لان قضية الجزائر كانت قد اكتسبت منذ زمن بعيد الرأي العام العالمى على الرغم من معارضة جميع المستعمرين ، ومن جملتهم الامريكان . ولان اسلحة حلف الاطلسي والاسلحة الامريكية كانت لا تفك تفك بالجزائريين الابطال . الا انه أي التهديد الامريكى يبين بوضوح طبيعة الشركة بين الاستعمارين ويفضح الاطماع الامريكية في بترول الصحراء ويفضح ضعفهم على المستعمرين الآخرين : على الفرنسيين لزيادة حصتهم .

وكان الامريكان يحاولون بشتى الوسائل ايقاع القادة الجزائريين في شباكهم منذ وقت مبكر من الثورة الجزائرية . الا ان طبيعة هذه الثورة ووطنية قادتها كانتا تمنعان اية مساومة بين الثوار وبين استعمار كالاستعمار الامريكى .

وقد فضح الرسمىون الجزائريون هذا الاستعمار في أكثر من مناسبة ، وبنوا مدى اجرامه في مشاركته المستعمرين الفرنسيين في تقتيل أبناء الجزائر . ومع ذلك فقد اتصل السفير الامريكى في تونس أكثر من مرة بحكومة الثورة الجزائرية عام ١٩٦١ . وكانت وزارة الخارجية الامريكية تعلن في كل مرة ، ان هذا الاتصال لا يشكل



اعتراف بحكومة الجزائر الثورية • وكان القصد الامريكى من هذا الاعلان مراعاة عواطف حلفائهم الفرنسيين •  
ان الامريكى كان في الواقع وفي نهاية الحساب كانوا يعتمدون على عبد الناصر للعمل على اجهاض الثورة الجزائرية وتحويلها الى حركة انتهازية في حالة نجاحها ضد الفرنسيين • ان عبد الناصر فعل الكثير من اجلهم في المشرق العربي ، فكانوا يأملون منه ان يفعل الكثير أيضا من اجلهم في المغرب العربي •

وعندما كنت في مصر ، بعد قيام الوحدة ، كنت كثيرا ما التقى بأعضاء لجنة التحرير الجزائرية • وقد سمعت من بعضهم مر الشكوى من المعاملة السيئة التي يلقاها الثوار الجزائريون من عبد الناصر • هؤلاء الثوار الذين قادوا ضد الاستعمار معركة الجزائر التي رفعت جبين العرب ، بل جبين الجنس البشري بما حققته من بطولات ، أقول هؤلاء الثوار لم يكن لينتبه اليهم في مصر الا ضابط صغير في مباحث عبد الناصر • حتى أن كبيرا فيهم لم يشاهد الرئيس طيلة سنتين الا كما يشاهده الناس العاديون من الشرفة ••

وقد قص علي أحدهم قصة اربع ممرضات جزائريات أتين للتدريب في القاهرة ، فقال لي ان المباحث الناصرية حاولت أن تشتريهن • وقد احتج الجزائريون على هذه المحاولة وقالوا للمسؤول المباحثي : انا لا نخفي عنكم شيئا ، فاذا أردتم معرفة أي شيء فما عليكم الا أن تسألونا نحن • ثم ما هي حاجتكم وحاجة مصر الى معرفة ما يدور في أرض الجزائر ؟ ان ما يدور في هذه الارض هو من

شأننا نحن فلا يفيدكم شراء احد من جنودنا او ممرضاتنا ليخبركم عما يدور هناك . . . وقد تبين أن مباحث عبد الناصر كانت تريد التجسس على الزعماء الجزائريين الذين يعملون في الجزائر ، لذلك حاولت شراء الممرضات المذكورات . وهذه المحاولة لم تكن الاولى ولا الاخيرة من نوعها .

وكانت تحجز الاعانات النقدية التي تجمع من الشعب المصري ، ويعطي بدلا عنها اعانات عينية كالرز والملابس وغيرها . ومن الواضح ان الجزائريين كانوا بأمر الحاجة الى النقد لسهولة ادخاله الى الجزائر ، اذ لا يستطيعون حمل البضائع كالرز وغيره تحت أنف سلطات الاحتلال الفرنسية في ذلك القطر .

ان هذا الذي يتبجح ويمنن الجزائريين في كل مناسبة لم يخص في ميزانية مصر أي مبلغ لثورة الجزائر حتى عام ١٩٥٩ ، وقد طلبت مني ان اسي عند قيام الوحدة ان تبرع بمليون جنيه استرليني أنت من مزامرة اجنبية فرفض الرئيس بذاته هذا الطلب ، وقال اننا سنخصص هذا المبلغ لمشاريع الانماء . . ثم اختفى المبلغ ولم يظهر له أي أثر . . . ومما لا شك فيه ان المباحث التي كانت تستعد لخوض معركة ضد شعب سوريا كانت بحاجة اليه .

وهناك قصص كثيرة ، وقد ترك الجزائريون القاهرة في نهاية الامر هربا من الناصرية . ومع ذلك لم تنته تدخلات المباحث ومضايقاتها بعد انتقال الحكومة الموقفة الى تونس : منعت مصر مرور اسلحة صينية وحاولت فرض شروط سياسية على حكومة الجزائر ، وهناك

تساؤلات كثيرة عن فقدان باخرة الاسلحة - أنوس - وكانت مصر  
تساؤل في دفع نصيبها من ميزانية الجزائر : الميزانية التي فرضتها  
الجامعة العربية الخ ••

هذه الاساليب في معاملة الناصرية للمسؤولين الجزائريين نعرفها  
نحن السوريين جيدا • ان الغاية منها هو تفريق الصف وخلق  
التناقضات في صفوف الجبهة العربية التي يريد عبد الناصر ابتلاعها •  
وحسين هيكل ، الناطق بلسان عبد الناصر ، كتب في تحقيقه الصحفي  
الآخر بتاريخ ٦ تموز ١٩٦٢ ، ان ضابطا جزائريا شكاه له مر الشكوى  
من قادة الثورة لتقصيرهم في امداد الجيش العامل على أرض الجزائر ،  
وهذه الشكوى لا تتفق مع الواقع ، لان كل من اتصل وعمل مع قادة  
الثورة الجزائرية يعلم علم اليقين مدى اخلاص وتفاني هؤلاء القادة •  
وأنا أصدق عبد الناصر عندما ينقل شكوى الضابط الجزائري بقلم  
هيكل ، لكنني أجزم بأنه عندما كان يضايق القادة الجزائريين فيمنع  
عنهم النقد مثلا ويعطيهم بدله ارزا ، كان يرسل من يشيع بين صفوف  
الثوار الجزائريين بأنه هو الذي يفعل كل شيء ، بينما لا تفعل لجنة  
تحرير الجزائر شيئا •• ألم يفعل ناصر ذات الفعل هذا عندنا في سورية؟  
وقد سمعنا في الايام الاخيرة ، والاسى يملأ قلوبنا ، ان انشقاقا  
وقع في صفوف الثوار الجزائريين • وسمعنا والاشمئزاز يملأ نفوسنا  
ان عبد الناصر « تبرع » وهو قابع في جنات فاروق ، بأعضابه ودمه  
- لرأب - الصدع الذي نجم عن هذا الانشقاق ، تماما كما تبرع في  
أناء حوادث حلب المشهورة •

وليس من قبيل الصدفة أن يأتي بن بيلا الى القاهرة بعد خروجه من السجن في ظروف عربية لا تستدعي هذه الزيارة • وليس من قبيل الصدفة أن ينتهي عبد الناصر الى أن يأخذ طرف بن بيلا ، بعد ان تظاهر بالحياد مدة يوم أو يومين •

لقد اجتمع عبد الناصر بعد السلام عارف في أعقاب ظفر ثورة ١٤ تموز فدب الشقاق بين قادة هذه الثورة بعد هذا الاجتماع ثم ظهر ان عبد الناصر كان يعمل في السر والعلانية على اجهاض الثورة العراقية وتحويلها الى مد انتهازي يسمح له بابتلاع العراق • وكان الامريكان من ورائه يساندونه طمعا - بتشليح - الانكليز حصتهم من بتروول العراق ، وطمعا بطرد الانكليز نهائيا من هذه المنطقة ليقوا فيها وحدهم • ان الاستعمار وأعوانه يسقطون الشعوب دوما من حسابهم • ثم اتنا اذا نظرنا الى ما يحدث في الجزائر حاليا ، على ضوء ما قلناه آنفا نجد ان عبد الناصر يحاول تكرار ما فعله بالعراق ، فهو طيلة سنوات الكفاح الجزائري الدموي لم يوفر جهدا في مضايقة قادة هذه الثورة وفي الدس بين رجالها ، وفي محاولة شراء من يستطيع شراءه حتى وصل الى محاولة شراء المرضات كما ذكرنا • أما صلاته بالامريكان فهي معروفة من كل الناس كما ان المطامع الامريكية في بتروول الجزائر واضحة كل الوضوح • فلم يبق اذن الا أن نستبدل العراق بالجزائر والانكليز بالفرنسيين لنرى بوضوح كيف حاول عبد الناصر اجهاض الثورة الجزائرية لحساب الاحتكارات البترولية الامريكية •

رأينا أننا مختلف القوى التي تصطرع في الجزائر : الشعب الجزائري ، والاستعمار الفرنسي ، والاستعمار الأمريكي . ورأينا ان الاستعمار الفرنسي انقسم بتوالي الاحداث وصمود الشعب الجزائري ، الى قسمين : واحد يمثل المستوطنين . الا أن هذا القسم الاخير ، الذي يمثل الاستعمار القديم وطراز الاحتلال المباشر واستيطان بعض رعايا المستعمر في المستعمرات يشكل قوة تسيير في طريق الانحلال . وقد القي معظم رجال المقاومة السرية الفرنسية سلاحهم بالفعل ، عشية الاستفتاء على الاستقلال في الجزائر . الا أن المستوطنين اذا كانوا فيما مضى يعارضون استقلال الجزائر ، ضد الشعب الجزائري وضد حكومة فرنسا التي رأينا انها اضطرت الى التسليم بهذا الاستقلال فانهم بعد استقلال الجزائر سيعودون الى مسايرة فرنسا والاحتكارات الفرنسية في هذا القطر . ذلك لان استقلال الجزائر سياسيا يصبح امرا واقعا ولا فائدة في معارضته .

ان الشعب الجزائري بعد حصوله على استقلاله يصبح السيد المطلق لبلاد من الناحية الدولية اما الاحتكاريون الفرنسيون والامريكان فهم ليسوا أكثر من مستعمرين ظالمين . فبإمكان الجزائر ان تتبع سياسة حازمة ضد هؤلاء المستعمرين لتخلص حقوقها منهم ، وهي بهذا في حاجة الى وحدة الصف ووحدة جميع القوى الوطنية ، سيما منها التي اشتركت في قيادة الثورة الجزائرية ، من اولها الى نهايتها . ان هذا الظن الذي حققه الشعب الجزائري بعد الكفاح المرير الذي دام

قرابة اثمانية اعوام . يجسد جميع تجارب الكفاح الماضية ويكسب  
الجزائر مناعة كبيرة ضد مطامع المستعمرين . الا ان تفرق كلمة قادة  
الثورة الجزائرية قبل توطد استقلال بلادهم يوقع الجزائر في مهالك  
تكلفها الكثير من التضحيات الاضافية . ففي هذه الحالة تسهل اقامة  
ديكتاتورية خائنة يسندها الاستعمار الامريكى ، أو اقامة حكومة مماثلة  
للاستعمار الفرنسي ، وفي كل من هاتين الحالتين يحرم الشعب  
الجزائري نعمة الحرية التي ناضل من أجلها كل تلك السنين الطويلة  
اضف الى هذا ، أن تفرق الصف الوطني الجزائري ، يفتح الباب على  
مصراعيه لايجاد تسويات بين الاستعمارين الامريكى والفرنسي على  
حساب شعب الجزائر . الامر الذي لا يتيسر لهؤلاء المستعمرين فيما  
لو وقف الجزائريون صفا واحدا امامهم .

ولا يمكن لاي اتفاق بين الفرنسيين والامريكان ان يكسب اية  
قيمة عندما يوجد صف وطني جزائري واحد متماسك يعارض كل  
مشروع استعماري . وهنا يتضح في ذهننا بكل جلاء مدى الجريمة  
النكراء التي ارتكبتها عبد الناصر في اذكاء الخلاف والبغضاء في الصف  
الوطني الجزائري . لقد شيد استقلال الجزائر على دماء مليون شهيد  
ويريد عبد الناصر أن يطعن هذا الاستقلال لمصلحة الاستعمار الامريكى .